

التَّربِيَّةُ وَالْفِدَاءُ



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: تكوين ١: ٢٦، ٢٧؛ إشعياء ١١: ١-٩؛ ٢ تيموثاوس ٣: ١٤-١٧؛
١ ملوك ٤: ٢٩-٣٤؛ يوحنا ١٤: ١٧؛ ١ كورنثوس ٢: ١-١٦.

آية الحفظ: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَىٰ بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ،
لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ» (٢ تيموثاوس ٣: ١٦).

نقرأ في الكتاب المقدس قصة مطوّلة عن الله وعن شعبه. في بعض الأحيان يُنظر إليها على أنها قصة حُبِّ باءت بالفشل، على الأقل بصورة مؤقتة. أو يمكن أن يُنظر إليها على أنها قصة تدور حول أب وأبنائه المتمردين العصاة.

لكننا في درس هذا الأسبوع، سنكتشف في قصة شعب الله في الكتاب المقدس موضوعاً آخر، وهو العلاقة بين المُعلِّم وتلاميذه. ففي حين يواصلون الإخفاق في اختباراتهم، فإنه بصبرٍ وجَلَدٍ يشرح لهم الدرس مراراً وتكراراً، إلى أن يتعلّمه البعض منهم في نهاية المطاف.

إن قصة الله وشعبه في الكتاب المقدس لا تختلف عن قصصنا البشرية التي نعرفها جيداً، إلا أن هناك استثناءً واحداً: قصة الله وشعبه مؤكِّدٌ لها نهاية رائعة، وستبلِّغ أهدافها. فإنّ نعمة الله تجاه شعبه تضمن هذه النتيجة. المسؤولية البشرية في هذه العلاقة، كثيراً ما أسيء فهمها، بل وكانت مصدر تخوّفٍ من قبل الكثيرين ممّن نظروا إلى هذه المسؤولية على أنها شاقّة ومُجهدة. ولكن القصة الواردة في الكتاب المقدس حول الله وشعبه، هي في الأساس دعوة لمعرفة الله وفهم مشيئته. في الواقع، إنَّ تَعَلُّمَنَا مَعْرِفَةَ الله هو استجابة لنعمته. ونحن لا يمكننا كسب هذه النعمة، لكن يمكننا أن نتعلّمها. وما جدوى التَّربِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ ما لم تكن في جوهرها تربيةً تَعَلَّمْنَا عن هذه النعمة؟

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السَّبْتِ القادم الموافق ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر).

صورة الله

اقرأ تكوين ١: ٢٦، ٢٧ وتكوين ٥: ١، ٣. ما الذي تعلمنا إياه هذه النصوص الكتابية حول كيف خلق الله البشرية في الأساس، وحول ما حدث للبشرية بعد السقوط في الخطية؟

إنَّ عبارة «صورة الله» كانت مصدر اهتمام مفسري الكِتَاب المُقَدَّس لعدة قرون. ما هي هذه الصورة التي عليها خُلِقَ آدم وحواء؟ على سبيل المثال، هل تعني أن الله نظر في المرأة وشكّل خليقته الجديدة لتبدو مثل صورته؟ أم تعني أنّ البشر هم أشبه بصورة الله دونًا عن كل أشكال الحياة الأخرى؟ أم أنّها تشير إلى التشابه الروحي والذهني والتوافق بين الخالق وخليقته البشرية؟ لا يقدم الكِتَاب المُقَدَّس أي تفسير دقيق لهذه العبارة على الرغم من أن الدارسين قد استمدوا من الكِتَاب المُقَدَّس العديد من التفسيرات لما يمكن أن تعنيه هذه العبارة. ومع ذلك، يمكننا أن نرى أنّ هذه الصورة قد تغيّرت بعد الخطية، وهذا هو السبب في أن إن هويت كتبت تقول إن الغاية من التَّربِيَّة هي أن تعيد في الإنسان صورة جابله (التَّربِيَّة الحقيقية، صفحة ١٤-١٦).

كيف يمكن للتعليم أن يحقق مثل هذا الهدف الرائع؟ أولاً علينا أن نتذكر أنّ الله خلقنا كي تكون لنا علاقة معه، وهي إلى حد ما كتلك العلاقة التي بين الوالدين وأبنائهم وبناتهم. لقد خلقنا الله على صورته، بنفس الطريقة التي يكون للوالدين البشريين أبناء وبنات على صورتهم (تكوين ٥: ١)، بحيث يمكنه أن يَنْشِئَنَا لأن نكون أبناءه وبناته الذين ينتمون لعائلته؛ وبهذا يمكنه التواصل معنا وتكون له علاقة دائمة بخليقته. ولذلك فإنَّ صورة الله هي أقرب إلى «صورة ذهنية» تمكّن كائنين، أحدهما إلهي والثاني بشري، من أن تكون لهما ذهنتين متوافقتين. هذا هو بالضبط ما يحدث في التَّربِيَّة، بداية في البيت بين الوالدين والأطفال، ولاحقًا في المدرسة عندما يتولى المُعَلِّمون مهمة التَّربِيَّة. من الواضح أنّ الله قَصَدَ القيام بعملية التَّربِيَّة هذه، التي نعرفها جيدًا، عندما خلقنا على صورته، مميّزًا إيانا عن العديد من أشكال الحياة الأخرى. لقد فعل ذلك لكي يتمكن من تعليمنا، ولكي نتمكن نحن من التعلّم منه حتى تتعكس صورته (فكره) في صورتنا.

إنَّ قصة الفداء هي قصة التَّربِيَّة، من الخلق إلى التجسّد، ومن التجسد إلى إعادة الخلق. الله معلّم، والسَّمَاء هي مدرسة لكل العصور (انظر إن هويت، التَّربِيَّة الحقيقية، صفحة ٣٠١). ما هي الآثار المترتبة على هذه الفكرة فيما يتعلق بالتزامنا وتكريسنا للتعليم المسيحي في البيت، في الكنيسة، في المدرسة، في الجامعة، وطوال الحياة؟

يسوع، المُعَلِّمُ الأعظم

يستخدم الكِتَابُ المُقَدَّسُ العديد من المصطلحات لوصف يسوع. فيسوع هو ابن الله، المَسِيَّا، ابن الإنسان، المُخَلَّص، الفادي، الرَّبِّ، حمل الله. هذه كُلُّها على سبيل المثال لا الحصر. لكن بالنسبة لأولئك الناس الذين عرفوه بشكل أفضل خلال فترة ما يقارب الثلاث سنوات والنصف من خدمته العلنية في اليهودية والجيليل، كان يسوع مُعَلِّمًا. ولقد كانوا ينادونه «رَبُّونِي» و «سَيِّد»، والكلمتان كلتاهما تعنيان نفس الشيء، أي «مُعَلِّم». ولذلك، لا بد وأن مهنة التَّعْلِيمِ وعمل التَّعْلِيمِ كانا وسيلة مناسبة بشكل خاص بالنسبة ليسوع للقيام بخدمته العلنية. إِنَّ عمل الفداء الذي قام به يسوع هو بطريقة ما أقرب إلى عمل التَّعْلِيمِ. والأكثر من ذلك، هو إِنَّه قد تمَّ التنبؤ به من قِبَل النَّبِيِّ الإنجيلي [إشعيا].

اقرأ إشعيا ١١: ١-٩. ما الذي تكشفه هذه الفقرة الكتابية عن دور يسوع كَمُعَلِّم؟

إحدى أروع النبوءات المتعلقة بالمسيا في الكِتَابِ المُقَدَّسِ نجدها في الأصحاح ١١ من سفر إشعيا. الأعداد ١-٣ تصوّر مجيء المَسِيَّا بمصطلحات تربوية، فالمَسِيَّا هو مَنْ يجلب المعرفة والمشورة والحكمة والفهم. ويختتم المقطع بأكمله بهذا الوعد الرائع: «لَأَنَّ الْأَرْضَ تَمْتَلِي مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تَغْطِي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ» (إشعيا ١١: ٩). ربما كان هذا التَّعْلِيمِ الكتابي هو الذي ألهم إلن ج. هويت في كتابها عن التَّربِيَّةِ أن تشير إلى أَنَّ عمل التَّربِيَّةِ وعمل الفداء هما واحد في أسْمَى المعاني (انظر التَّربِيَّةِ الحقيقية، صفحة ٣٠).

اقرأ يوحنا ٣: ١-٣. خاطب نيقوديموس يسوع مستخدمًا لقب «مُعَلِّم»، ثم وصف مواهب يسوع التَّعْلِيمِيَّةِ على أنها آتية من عند الله بسبب العجائب التي أجراها يسوع، تحديداً معجزاته ووجهة نظره حول معنى الحياة. فمن المؤكد أن يسوع قد قَبِلَ، إن لم يكن اللقب الذي لُقِبَ به، بأن مصدر مواهبه التربوية عندما جاوب نيقوديموس بأنه ينبغي أن يولد ثانية كي يرى (يفهم وكذلك يدخل) ملكوت الله. وهذا يعني أن سلطة تعليم الآخرين، حتى في حالة يسوع، تأتي من عند الله. بالتأكيد، التَّعْلِيمِ هو هبة من الله. إِنَّه يأتي بتكليف منه، وقد أُعْتِمِدَ التَّعْلِيمِ من قِبَلِ يسوع، وقد أُعْتَرِفَ به من قِبَلِ أولئك الذين تعلَّموا من يسوع باعتباره صاحب سلطان إلهي.

ما هو الدور الذي علينا القيام به في رؤية إتمام هذه النبوءة المتعلقة بنشر معرفة الرب في جميع أنحاء العالم؟

موسى والأنبياء

اقرأ ٢ تيموثاوس ٣: ١٤-١٧. ماذا تعلمنا هذه الفقرات الكتابية عن دور الكتاب المقدس في التربية المسيحية؟

الكلمة المستخدمة للإشارة إلى القسم الأول من الكتاب المقدس، «التوراة» تُترجم أحياناً «الناموس»، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن هناك العديد من النواميس في هذه الأسفار. لكن التوراة تعني حَقاً «التعليم» أو «الإرشاد». هذا المفهوم مختلف تماماً عما يعتقده الكثيرون حول معنى «الناموس» في الكتاب المقدس. فإنهم ينظرون إليه باعتباره القواعد والقوانين التي يجب أن نتبعها للبقاء في ظلّ نعمة الله الصالحة. لكن الناموس ليس كذلك؛ فالمقصود للناموس هو أن يكون مادة تعليمية تتعامل مع كيفية عيش الحياة بنجاح وبأمان، في علاقة العهد التي قصدتها الله عندما خلقنا في البداية. القسمان التاليان من الكتاب المقدس (الأنبياء الأولون والأنبياء الآخرون) يقدمان تقريراً عن مدى إتقان شعب الله لهذه المواد التعليمية وعيهم وفقاً لها، وعمّا يجب أن يكونوا قد تعلموه من هذه المواد التعليمية.

القسم المتبقي من العهد القديم (المسمى «كتابات» باللغة العبرية) مليء بأمثلة حول معلمين وطُلاب كانوا ناجحين، وحول معلمين وطلاب آخرين ممن كانوا أقل نجاحاً، بالإضافة إلى اختباراتهم التعليمية. ومن الأمثلة على النجاح التربوي في هذه الأسفار هناك أستير وراعوث ودانيال وأيوب. ومن الإخفاقات هناك أصدقاء أيوب الأربعة. وبطبيعة الحال، فإن سفر المزامير هو كتاب تراثيل، ولكنه يحتوي أيضاً على ثلاثة مزامير تَرْبَوِيَّة، على الأقل: المزمور ١، المزمور ٣٧ والمزمور ٧٣.

تزخر الأناجيل بالمواد المُعدَّة للأغراض التعليمية، خاصة في أمثال يسوع. العديد من رسائل بولس تبدأ بإعلان إنجيلي قوي، ولكنها تنتهي بمواد تعليمية وعملية حول الحياة اليومية للمسيحيين. كما أن سفر الرؤيا مليء بالمواد التعليمية. على سبيل المثال، الإعلان الكامل، أو الكشف عن مستقبل كنيسة المسيح، مُعلَن في سفر وحده حَمَل الله - يسوع، المُعَلِّم الأعظم - يستطيع أن يفتحه (رؤيا ٥: ١-٥).

قد يقول البعض أن ليس كل المواد التعليمية في أسفار موسى تنطبق على عصرنا، وهذا صحيح. الفقرة الكتابية في تثنية ١٧: ١٤-٢٠، المتضمنة تعليمات بشأن الملوك، بها بعض التعليمات الواضحة للغاية حول اختيار شخص ما لتولي منصب ملكي. اليوم،

بالطبع، نحن لا نعيّن أي ملوك في كنيستنا. كيف نحّد التطبيق الصحيح لكل هذه المواد التّعليمية في الكتاب المقدّس في عصرنا؟

الأربعاء

١٨ تشرين الثاني (نوفمبر)

رجال حُكماء ونساء حكيّات

إنّ الكلمات «مَدْرَسَة» و «دراسة» و «تعليم» و «تربية» هي كلمات مفهومة بوضوح في عصرنا، ولكنها ليست شائعة في الكتاب المقدّس. في المقابل، كانت كلمة «حكمة» ومشتقاتها أكثر شيوعاً بكثير. على سبيل المثال، يذكر العهد القديم الرجال الحكماء والنساء الحكيّات (٢ صموئيل ١٤: ٢؛ أمثال ١٦: ٢٣).

اقرأ ١ ملوك ٤: ٢٩-٣٤. ماذا يعلمنا هذا عن أهمية الحكمة؟

يتميز الملك سليمان بأنّه كان رجلاً حكيماً جدّاً، فقد تحدث عن الحياة الحيوانية والنباتية ونطق بالأمثال بحكمة هائلة، وهذا يعني أنّه كان إنساناً تربوياً (١ ملوك ٤: ٢٩-٣٤). يتضمن سفر الأمثال والجامعة الكثير من التعاليم الحكيمة حول العديد من المواضيع، وتُنسب هذه التعاليم إلى سليمان وكذلك إلى مُعلّمين حُكماء آخرين في العصور القديمة (أمثال ١: ١؛ أمثال ٢٥: ١؛ أمثال ٣٠: ١؛ أمثال ٣١: ١).

وفقاً للكتاب المقدّس، الحكمة هي إلى حد كبير مثل نظامنا التربوي اليوم. إنها شيء يتعلّمه الإنسان من والديه ومعلّميّه، خصوصاً عندما يكون المرء في سن صغيرة (سفر الجامعة ١٢: ١)، ولكن الإنسان في الواقع يواصل تحصيل الحكمة طوال حياته. ثانياً، الحكمة بصفة عامة لها جانب عملي كذلك؛ على سبيل المثال، تعلّموا من النملة التي تُعدّ في الصّيفِ طَعَامَها، من أجل أن يكون لديها ما يكفي للشتاء (أمثال ٦: ٦-٨).

ومع ذلك، فإنّ الحكمة ليست عملية وحسب، بل هناك جانب نظري لها أيضاً؛ لأنها تبدأ بالإيمان بالله وتتبع مبادئ أساسية معينة (أمثال ١: ٧). تساعدنا الحكمة على العيش بمسؤولية ولصالح الآخرين، وتساعد أيضاً على حمايتنا من المكروه. وأخيراً، تماماً مثل التّعليم اليوم، الحكمة لا تجيب على جميع الأسئلة التي قد نطرحها، لكنها تمكّننا من الاكتفاء بما نعرفه مع الاستمرار في البحث عمّا لا يزال مجهولاً، وهذا موقف جيد يمكننا من خلاله أن نتعلّم أن نعرف الله وأن نشق في نعمته. وفقاً لإرميا ١٨: ١٨، دور المُعلّم الحكيم هو على قدم المساواة مع أدوار الكهنة والأنبياء. فثلاثهم ينقلون رسائل من الله إلى شعبه، في شكل التعاليم التي في الناموس وتقديم المشورة التربوية وحمل رسائل خاصة من الله.

كيف يمكننا أن نتعلم الحكمة ومن ثم نقلها إلى أولئك الذين يأتون من بعدنا؟
لماذا يعد هذا أمرًا هامًا جدًا بالنسبة لنا، كشعب، بحيث ينبغي القيام به؟

الخميس

١٩ تشرين الثاني (نوفمبر)

التَّعْلِيمُ فِي الْكَنِيسَةِ الْأُولَى

يبرز أحد أروع المبادئ التربوية في الكتاب المقدَّس حين كان يسوع، باعتباره المُعَلِّمَ الأعظم، يستعد لترك طلابه أو تلاميذه. لقد كانوا معه لمدة ثلاث سنوات ونصف، وهو تقريبًا مقدار الوقت الذي نخصه للتعليم الثانوي أو الجامعي. وعند الانتهاء من أيٍّ من الفترتين، اعتمادًا على الشخص، غالبًا ما يُعتبر الطلاب مستعدين للتصرّف من تلقاء أنفسهم. لكن يسوع كان يعرف بشكل أفضل، ولهذا وقر لأتباعه تعليمًا متواصلًا أو مستمرًا تحت إرشاد الروح القدس. في أماكن أخرى من الكتاب المقدَّس، يتم تعريف هذا المُعَلِّم أو المرشد على أنه المُعَزِّي أو المُدْفَع (باللغة اليونانية الباراقليط)، الذي سَيُعْطَى لأتباع يسوع بشكل دائم (يوحنا ١٤: ١٦، ١٧). ويتم تعريفه على أنه روح الحق. في حين أن الروح القدس لا يُعرَّف على أنه معلّم أو مربّي، إلا أن عمل الروح القدس هو بالتأكيد عملٌ تربوي، لا سيما وأنه يتعلق بالبحث عن الحق وإيجاده.

اقرأ ١ كورنثوس ٢: ١-١٦. ما الذي يقوله بولس ويعد ذات أهمية كبرى في سياق التَّعْلِيمِ والتَّربِيَةِ؟

يبدأ بولس بتذكير الكنسية في كورنثوس بأنه عندما جاء إليهم لأول مرة، فإنه لم يتحدث عن شيء سوى يسوع المسيح وإياه مصلوبًا (١ كورنثوس ٢: ٢) - لم يشارك حكمة حاذقة، فقط قام بإعلان الإنجيل. لكن هذه لم تكن نهاية الأمر (١ كورنثوس ٢: ٦)، لأنه بمجرد أن ينضج هؤلاء المسيحيين الجدد، كان الرسول بولس سيعود ليعلمهم الحكمة، الأمور التي كتبها الله قبل بدء العالم (١ كورنثوس ٢: ٧)، حتى الأمور العميقة المتعلقة بالله (١ كورنثوس ٢: ١٠). وسيتّم دراستها بتوجيه من روح الله إذ يتّحد مع روح المُتعلِّم. ما مدى ما ستكون عليه تلك الدراسة، وما مدى التَّعْلِيمِ الذي سيكون متاحًا لأولئك الذين يقودهم الروح القدس؟ يُختتم الأصحاح باقتباس من سفر النبي إشعياء: «مَنْ قَاسَ رُوحَ الرَّبِّ، وَمَنْ مَشِيْرُهُ يُعَلِّمُهُ؟» (إشعياء ٤٠: ١٣). لو أنّ نبيًا كان يتحدث إلى الناس العاديين في عصره، كان سيقول إنه لا يمكن لأحد أن يفعل ذلك. لكن بولس صحَّح هذا التصوّر بقوله مختتمًا، «وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَّا فَكَّرُ الْمَسِيحِ» (١ كورنثوس ٢: ١٠-١٣)

مما يعني أن المسيحيين المملوئين بالروح لديهم إمكانية الوصول حتى إلى فِكْرِ الله، وبالتالي يمكنهم الحصول على أي قدر من المعرفة والفتنة (١كورنثوس ٢: ١٠-١٣) اللتان ستكون هناك حاجة إليهما لمعرفة سبيل البرِّ.

الجمعة

٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر)

لمزيد من الدرس: إنَّ مأمورية الإنجيل العظمى (متى ٢٨: ١٨-٢٠) تُطَلِّق حركة دينية رائعة في كافة أنحاء العالم. فيما يلي بعض الرُّسل أو المُرسلين (الكلمتان تعنيان الشيء نفسه «أولئك الذين أُرسِلوا») ممَّن ذهبوا إلى شتَّى أنحاء العالم وجمعوا حولهم طلابًا وجعلوهم تلاميذ، ودعوهم إلى الإيمان بيسوع، وعمدوهم وشرعوا في تعليمهم كل الأشياء التي أمرهم بها يسوع. الصورة المُقدَّمة هي لمهتدين إلى المَسِيحِيَّة من جميع أنحاء العالم، يمثلون ثقافات مختلفة ويتحدثون لغات مختلفة. وقد خرج هؤلاء من مياه المعمودية ليدخلوا المدرسة ويبدأوا تلقِّي تعليمهم. وهذا ليس من المستغرب، لأنَّه كان لا يزال أمامهم الكثير ليتعلَّموه.

السبب الذي يجعل المسيحيين يسعون لتعلُّم دائمًا ليس مجرد فضول ذهني أو حرص على الإلمام بالمعرفة، بل إنَّ الحياة المَسِيحِيَّة والإيمان يتخللان كل ركن من أركان الحياة اليومية. هناك الكثير لتتعلَّمه. وبسبب ذلك، تشتمل رسائل العهد الجديد على كل من الإعلان عن يسوع، وتعلُّم كلِّ الأشياء التي يجب على المسيحيين تعلُّمها. مثال جيِّد للإعلان عن يسوع نجده في ١كورنثوس ٢: ٢، مع أنَّ التعلُّم يبدأ في ١كورنثوس ٤ ويستمر متقطعًا في بقية الرسالة. وما الذي يجب على المسيحيين أن يتعلَّموه؟

يجب أن يتعلموا عمَّا يلي: العمل، الراحة، المسائل الاجتماعية، العلاقات بين أفراد المجتمع، الكنيسة والعبادة، الاقتصاد، العمل الخيري، العلاقات مع السلطات، النَّصح والإرشاد، الأنظمة الأسريَّة، علاقات الزواج وتربية الأطفال، الطعام وإعداده، الثياب، ويجب أن يتعلموا أيضًا عن الشيخوخة والاستعداد لنهاية الحياة، كلاً من الحياة الشخصية للفرد والحياة في هذا العالم. أن تكون مسيحيًا يعني أن تتعلَّم شيئًا عن كل هذه الأمور، وغيرها. وفهم هذه الأمور لا يأتي بشكل تلقائي، إنَّما يجب تعلُّم استيعابها.

أسئلة للنقاش

١. ما مدى أهمية العمل التربوي بالنسبة لمرسليَّة الكنيسة؟

٢. ما الذي كانت تعنيه إن ج. هوايت عندما كتبت «السَّماء مدرسة» (التربويَّة الحقيقية، صفحة ٣٥٢).

٣. اقرأ ١كورنثوس ٢: ١-١٦، مرة أخرى. تمعن فيما يخبرنا به بولس عمَّا يعلنه الله لنا من خلال الوحي المُقدَّس. فكر في هذا التأكيد بأنَّ عظماء هذا الدَّهر وحكمته يُبطلون. إذا كان بإمكانه قول ذلك آنذاك، فماذا عن «حكمة» عصرنا أيضًا؟